الصراع

إعداد : الحسين حماش
أستاذ بمعهد تيقصرين

الصراع النفسي ، في رأي علماء النفس ، هو الصراع الدائم المستمر لا الصراع المؤقت العابر و الذي ينشأ نتيجة تعارض دافعين لا يمكن في وقت واحد إرضاءهما لتساويهما في القوة . أو هو الحالة النفسية المؤلمة التي تنشأ عن هذا التعارض.

فعندما نتكلم عن الصراع نتصور مباشرة مجموعة من القوى ، يحدث التصادم بينهما حالة من التوتر ، سواء عند الفرد أو داخل الجماعة.

إن الصراعات التي يهتم بها كل من علم النفس و التحليل النفسي ليست مرتبطة أبدا بالقوى النابعة من الفرد وحدها ، وليست هذه القوى مما ينشأ بين الأفراد فقط ، واصطدام القوى المتعارضة يحدث أغلب الأحيان في مستوى العلاقة بين الأشخاص ، يعني أنه توجد في جميع الحالات تقريبا مكونات تنبع من العلاقات بين الأشخاص.

و لا يتكون لدى الفرد هذا النمط من الصراع الذي يدعي صراعا بين الأشخاص إلا بسبب أن علاقته مع الغير كانت أو أصبحت أو ستصبح علاقة صراعية.

فالصراع إذن هو سمة الحياة : حياة الفرد ، و حياة الأفراد ... فنحن منذ نعومة أظافرنا نقع في صراع ... صراع منشأه رغبتنا في إرضاء دوافعنا و رغبتنا الشديدة في إرضاء أمهاتنا. حين يحاولن تنظيم أوقات رضاعتنا و فطامنا ، و تنظيم عملية الإخراج لدينا ، ثم يستمر هذا الصراع بين رغباتنا أيضا و خوفنا من وسائل الردع التي تبتدعها الأسرة ، ثم تلك التي يصوغها المجتمع و مؤسساته الثقافية و التربوية و الدينية و غيرها عند احتكاكنا بها.

و الصراع لا يعني مجرد التنافس بين فردين فحسب ، و لكن يعني أيضا أن هناك دوافع مختلفة تتصارع في داخل كل فرد من المتنافسين من ناحية تعدد الاختيارات و تعدد الاحتمالات.

الصراع جوانبه النفسية الاجتماعية

• لقد أصبحت أبحاث ميلروهل MILLER ET HULL في الصراع أبحاثا كلاسيكية بعد ليفين LEWIN الذي وصف الصراع وصفا توبوغرافيا ، وصف الأشياء في حالتها الطبيعية . انهما يعرفان الصراع بالتنافس بين الاستجابات ، و يميزان :

(1)- صراع الاستجابات " اقترب - اقترب " : APPROACH - CONFLIET

ينجم عن محاولة الاختيار بين هدفين كل منها محاسنه المشتركة مع الآخر ، و لا يستطيع الفرد أن يقرر اختيار أحدهما دون الآخر ، فمثلا هناك شاب مرشح له عروستان ابنة عمه و ابنة عمته ، و لهما صفات مشتركة تجعل تفضيل أحدهما عن

الأخرى ضرب من المحال و يتميز الموقف في هذا النوع من الصراع بأنه ينتهي سريعا باختيار إحدى العروستين كما أن هذا النوع لا يخل بعملية التوافق . لأن القلق الذي يسببه سريع الزوال.

(2)- صراع الاستجابات " امتنع - أمتنع " : - AVOIDANCE CONFLICT

ينجم عن محاولة الاختيارين هدفين لكل منهما مساوئه المشتركة مع الآخرين ، و يستمر الصراع من هذا النوع مدة أطول مما يحدث في صراع الأقدام أو صراع الاستجابات " اقترب - اقترب " . ذلك انه ناتج عن موقف متضمنا الاختيار بين شيئين كلاهما يعود بالضرر على الفرد .. فها هي فتاة تريد التخلص من خطيبها الذي أساءت اختياره لكنها تخشى ألسنة الناس و تساؤلاتهم . أو هذه الزوجة التي لا تستطيع الاستمرار في العيش مع زوجها ، و لكن ليس لها مصدر تعيش منه و هي جميلة تخشى الفتنة ، وكثير ما يلجأ الفرد في حالة معاناته لهذا النوع من الصراع إلى الهرب كأن يلجأ إلى أحلام اليقظة أو أن ينكص في سلوكه.

(3)- صراع بين الاستجابات " اقترب - امتنع " : - APPROACH-AVOIDANCE CONFLICT

ينجم هذا النوع من الصراع من محاولة الفرد اختيار شيء واحد له جانب سيئ و آخر إيجابي ، فهناك إذن بعض الوضعيات تجذب و تدفع في نفس الوقت. و الأمثلة هنا كثيرة و متنوعة كالرغبة في السفر بالطريق الصحراوي و لكن الطريق سيئ و خطر ، أو الشبان الذين يحبون أن يتخلصوا من وصاية الأباء و من الطاعة التي يفرضونها عليهم و لكنهم من جهة أخرى لا يستطيعون أن يبتعدوا عن الرفاهية و الأمن الذين توفرهما العائلة.

أو الصراع الفرد بين طموحه في أن يكون طيارا و عدم امتلاكه للقدرات المطلوبة للطيار هذا الصراع يسمى أحيانا بصراع التناقض الوجداني AMBIVALENCE .

(4) الصراعات المتعددة : MULTIPLE CONFLICT

- على أننا نلقي موقفا يتضمن الاختيار بين ثلاث أشياء أو أكثرها لها محاسنها و هذا هو موقف الصراع المتعدد الاقتراب MULTIPLE APPROACH CONFLICT .

- و أما أن يكون الموقف متضمنا الاختيار بين أشياء ثلاثة أو أكثر لكل منها مساوئه و هذا موقف الصراع المتعدد الابتعاد MULTIPLE AVOIDANCE CONFLICT.

- أو أن الموقف يتضمن أشياء متعددة لها جوانب حسنة و جوانب سيئة أخرى و هذا هو موقف الصراع متعدد الاقتراب / الابتعاد . MULTIPLE APPROACH - AUVOIDANCE CONFLICT .

- و قد تمكن كورت ليفين KURT LEUVINC من أن يحلل جيدا بعض السيرورات فيما يتعلق بصراع الزواج . و تحليله هام جدا بفضل المفاهيم التي يستعملها و الطريقة التي يعتمدها.

أسس الصراع في الزواج حسب كورت ليفين

- يرى ليفين أن الزواج وضعية جماعية . و هو بهذه الصفة يتوفر على جميع الخصائص العامة لحياة الجماعة . و إذا كانت الجماعة شيئا أكثر من مجرد مجموع أعضائها ، مختلفا عنه ، فإن مشاكل أحد الزوجين يجب أن ينظر إليها على أنها نابعة من العلاقة : جماعة - فرد.

و لنلاحظ في البداية بأن خصائص الجماعة الزوجية ، داخل ثقافة معينة ، تتنوع على العموم ، تبعا للأصل الجنسي (عرقي) للزوجان من البيض أو من الملونين ، و تبعا للطبقة الاجتماعية - المهنية للزوجين و مكانتهما مرتفعة أو منخفضة في السلم الاجتماعي و تبعا لنمط اندماج الهيئة الزوجية في المجموعة المحلية أي حسبما إذا كان الزوجين جديدين على منطقة الإقامة أو قديمين فيها الخ

الصراع في الزواج

- إن توارد الصراع واتساعه يتبعان - كما رأينا - حالة التوتر التي تعيش فيها الجماعة و الأفراد و من بين الأسباب نذكر ما يلي :

- عدم إرضاء بعض الحاجات الأساسية مثل الحاجة الجنسية أو الحاجة إلى الأمن.

- ضيق مجال الحركة الحرة (و خاصة إذا كانت هامة) أن تجارب ليفين على مناخ الجماعات الديموقراطية و الجماعات التسلطية لذات أهمية بالغة - فقد بين بأن حالة التوتر في الجماعات التسلطية ، حيث تكون إمكانيات العمل بالنسبة للفرد محدودة كبيرة جدا ، و إنما تنحل إما بالخنوع أو بالعدوان.

- ظهور عوائق تمنع الفرد من ترك الوضعية الخطرة أو المؤلمة.

- يتوقف الصراع - في مستوى حياة الجماعة - على درجة التمانع بين مختلف أهداف الأعضاء ، أو العجز عن تبني وجهة نظر الغير.

- إن الحاجات التي يفترض في الزواج أن يرضيها لمتعددة كثيرة ، فكل من الزوجين ينتظر منه أن يؤدي عددا من الأدوار : سواء من حيث هو أب أو أم ، أو من حيث هو مسؤول عن العائلة أو البيت أو من حيث القرين الجنسي الخ ... و بعض الحاجات ترضى تماما ، و بعضها لا يرضى إلا جزئيا ، و أحيانا يظل بدونها إرضاء ، و كل شيء يتوقف على شخصية الزوجين و على الشروط الاقتصادية- الاجتماعية التي يعيشان فيها.

إن الكيفية التي سيستجيب بها كل منهما لنسق الإرضاءات - و الاحباطات تشكل الأساس الذي لا

غنى عنه لفهم الصراعات داخل المجموعة الزوجية.
و يمثل الإرضاء الجنسي الدور الأهم . و من المعلوم مثلا أن العلاقات الجنسية تأتي بشكل ثنائية القطب ، يعني أنها تفترض العطاء و الامتلاك في نفس الوقت.
و عندئذ فإن إدراك الثلاثي = عطاء - امتلاك - إرضاء ، لا يتوافق إلا قليلا عند الزوجين ، و على العموم فلا بد من بذل جهد للتلاؤم ، تلاؤما مع تواتر حاجات الزوج و مع الكيفية التي يراها ضرورية لإرضائها ، و إذا لم يتوصلا إلى توازن مرضي بينها ، فمن الصعب جدا أن تحافظ المجموعة الزوجية على تكاملها.
- و ليست حاجات الأمن أقل أهمية ، سواء في ذلك الأمن المادي و العاطفي . إن الفرد ينظر إلى المنزل على أنه المحل المفضل للتخلص من قلق العزلة و من الاضطراب المادي و العاطفي و مما يحدث كثيرا بالنسبة للمرأة خاصة - إن الإحباط في هذا المجال إذا تكرر ينتهي بالهجر النفسي أو الوجداني للزواج.
- إن هذه الأنماط من الصراع التي سنعللها بتفصيل أكبر ، نلاقيها كثيرا في الحياة اليومية و ترجع على العموم إلى الصراع بين الأشخاص . و قد درس " هيدف HEIDEF " عدد منها نذكر من بينها :
حالة شخصين يحاول كل منهما تجنب نفس الموضوع مع العلم بأن أحدهما على الأقل يجب أن يقبلها من ذلك مثلا أن مسؤولين في وضعية تقتضي أن يعاقب أحدهما.
- حالة شخصين هو يرغب كل منهما في موضوع معين هو ، و لكنه لا يقبل القسمة مثل الرجلين المتنافسين في حب امرأة واحدة.
-حالة شخصين أحدهما يرغب في موضوع و الآخر ينفر منه و يدفعه مثل الزوجين اللذين يختلفان على المكان الذي يقضيان فيه عطلتهما.
حالة الشخص الذي يكتشف - بعد أن يكون قد اختار بين موضوعين - أن الموضوع المستغنى عنه أعلى بكثير من الموضوع الذي وقع عليه الاختيار " الصراع بعد القرار " .
- و أخيرا حالة الفرد الذي يعجب بشخصين يبغض أحدهما الآخر.

ملاحظة :

- على أننا ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن الصراعات أن استمرت دون حل فترة طويلة من الزمن و كانت تتضمن دوافع ذات أهمية للفرد أدت إلى حالة متصلة من التردد و الحيرة و القلق و التوتر و الانفعال ، و استهلكت من الفرد قدرا من طاقاته ، هذا إلى جانب ما يؤدي إليه إحباط الدوافع من مشاعر الخيبة و الألم و فقد الثقة بالنفس ... و الشعور بالاغتراب و الوحدة هنا يقال أن الفرد يعاني أزمة نفسية.

أبحاث العلماء في هذا الموضوع

- تجارب " اش ASH " على الدوافع التي تبطن الإمتثالية.
- تجارب " هوفلاند AOVLAND " و كرويتشفيلد CRUTCHFIELD" على وضعيات الصراع التي تعقب اتخاذ القرار.
تجارب " فيستنجر FESTINGER " على ميل بعض الأشخاص التي تغير آرائهم حتى لا يكون هناك صراع بينهما و بين سلوكهم .

صراع الأدوار و الحلول الممكنة

- يميز " روشبيلاف سبينلي ROCHEBLAVE-SPENLE" ثلاث حلول ممكنة للصراع بين الأدوار :
(1) العزل : و هو ضرب من ضروب الكبت ، يجعل بعض الأدوار تمحي تماما عندما تكون أدوار أخرى في حالة نشاط . و هكذا فإن متطلبات الأدوار تندرج في الزمن . و هذا تقريبا ما يحدث لرجل الأعمال الذي يتوصل إلى كبت أدواره الفردية و العائلية الخ ... و ذلك أثناء ممارسة حياته المهنية.
(2) التسوية : و يعني ذلك أن السلوكات الجديدة الذكية تحتفظ بحق الدورين المتصارعين و هذا على العموم هو نموذج الحلول الأكثر إرضاء.
(3) الهرب : و هو الوسيلة الأشد حسما ، إذا انه يتمثل في التخلي عن أحد الدورين المتصارعين و في العديد من الحالات تجد المجتمع نفسه هو الذي يحدد مسبقا الأدوار التي يتعين تركها ، و من بين الآليات النظامية المكونة بهذه الطريقة يمكن أن نذكر ما يلي :
تدرج الأدوار - مما يسمح بالتخلي عن بعض الأدوار من أجل القيام بأدوار أخرى أهم منها (من ذلك مثلا إنه إذا وقعت وفاة في العائلة يمكن للمعني بالأمر أن يتغيب عن العمل ، إذ أن الأدوار العائلية هي الأهم هنا).
فصل الأدوار عن بعضها ، و هو فصل يمنعها من التداخل ، و بذلك يلغى الصراع المحتمل بينهما ، و هكذا فإن الطبيب مثلا ، لا يضع في الميزان سنه و لا جنسه و لا طبقته الاجتماعية و لا مذهبه السياسي ، و ذلك أثناء ممارسته المهنية.

قائمة المراجع :

(1) - مبادئ في علم النفس الاجتماعي ـــ تأليف : باسا غانا ترجمة : بوعبد الله غلام الله - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1983
(2) - في علم النفس الاجتماعي - تأليف عباس محمود عوض - الناشر : دار المعارف الجامعية
(3) - علم النفس الاجتماعي : الاتجاهات التطبيقية المعاصر - تأليف : سعد جلال - الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية - الطبعة الثانية 1984.